الزواج وتغيير منظومته المجتمعية مابين قديم متروك وحديث متداول

- دراسة تحليلة سوسيولوجية -

د. تومي الخنساء **أ. أحمد سويـسي**

جامعة بسكرة **جامعة الأغواط**

ملخص:

يعد الزواج من بين المواضيع المتداولة والواسعة في نفس الوقت، يصعب الإلمام بها في عمل واحد، وستقدم هذه الورقة العلمية لأهم المتغيرات التي طرأت عليه كمصطلح ووظيفة يتم الحفاظ من خلالها على التناسل، لكن ماهي الأسباب التي أدت لهذه التغيرات؟ وماهي أهم الأوجه التي اكتسى بها مجتمعيا؟ وكيف يتم الحفاظ على الطبيعة الأساسية له؟ أسئلة وأخرى سيتم تغطيتها في هذا العمل، الذي من شأنه يثري البحث العلمي ويضئ جانب من جوانب الحياة المجتمعية.

Résumé

Le mariage est l'un des sujets les plus fréquents et les plus répandus en même temps, difficile à cerner dans un seul travail. Cet article présentera les variables les plus importantes est tente de répondre à quelques questions telle que : quelles sont les raisons qui ont conduit à ces changements ? Et quels sont les aspects que notre société q connus ? Comment il a conservé sa nature de base ? Les questions et d'autres seront abordés dans ce travail, qui enrichira la recherche scientifique et éclaircit les aspects de la vie communautaire.

مقدمة:

الزواج رابط مقدس بين الرجل والمرأة، بهما تتكون الأسر وتنشأ أسر أخرى لتنتج أجيال متنوعة بتنوع التنشئة التي نشأ عليها الزوجين وارتبطا بها. ففي القديم كان الزواج يعقد بعدة طرق من بينها الوالدين ومعرفتهم بأسر أخرى، أو الأخوة بين أفراد المنطقة الواحدة، صلة القرابة كأبناء الأعمام وأبناء الأخوال، أيضا الحفلات والأعراس التي تقام بين الأسر، لكن بالتطور التكنولوجي الذي أحدث ثورة هائلة

على مستويات عدة قد مس حتى الزواج وطرق التزاوج المعتمدة سابقا بإدخالها معطيات أكثر حداثة، واكتسى بصبغة متطورة حسب الحيثيات المقدمة والمقبولة اجتماعيا حتى وإن كانت خارجة على نطاق الضوابط المجتمعية والدينية.

أولا–الزواج قراءة سوسيولوجية في المفهوم:

يعتبر الزواج ظاهرة اجتماعية مرتبطة بشكل كبير بالعادات والقيم والأعراف الاجتماعية السائدة في كل مجتمع، ويمكن القول إن الزواج اليوم أصبح كأزمة تحتاج إلى اهتمام كبير من المسئولين، حيث نجدها مؤخرا أصبحت قضايا تطرح على مستوى الرأي العام لا سيما المهتمين بالبحث الاجتماعي، وقد ارتبطت أزمة الزواج بالعديد من المشكلات الاجتماعية التي تمثل مظهرا لها، الأمر الذي تطلب تكاتف الجهود للبحث عن أسباب علاجها.

1–نبذة عن الزواج من الكتاب والسنة:

الزواج أو النكاح معناه شرعا: عقد يربط بين ذكر وأنثى، بصيغة معينة، وبشروط شرعية محددة لا يصح بها إلا بها... وقد جاء القران الكريم بلفظي الزواج والنكاح في عدة آيات كريمات نذكر منها **قوله سبحانه وتعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) الروم.**(لتسكنوا: لتميلوا اليها).

وأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ...(32) النور.

(الأيامى: لا زوج لها ومن لا زوج له) (عبادكم: العبيد) (إمائكم: الخدم من النساء).

والزواج واجب على كل عاقل عنده القدرة على تكاليف الزواج، وتاقت نفسه إليه وخشي العنت – أي الإثم أو الفجور أو الزنا، لأن صيانة النفس وإعفافها عن الحرام واجب ولا يتم ذلك إلا بالزواج[1].

ولان تاقت نفسه إلى الزواج، وعجز عن الإنفاق على الزوجة، فإنه يسعه **قول الله عز وجل:**

وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ (33) النور.
وليكثر من الصيام كما جاء في الحديث الشريف:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم: فقال **((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (رواه البخاري)** (الباءة: القدرة على الزواج ماديا) (أغض للبصر وأحصن للفرج: اشد إحصانا ومنعا من الوقوع في الفاحشة) (وجاء هنا ان الصوم قامع للشهوة).

2-حكمة الزواج:

شرع الله – عز وجل الزواج لحكمة جليلة، ومقاصد شريفة، ولغايات نبيلة نذكر منها:

- حاجة كل من الزوجين إلى صاحبه. فالزواج هو أحسن وضع طبيعي وانسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها.
- الإبقاء على النوع الإنساني بالتناسل الناتج عن النكاح، واستمرار الحياة.
- صيانة الأنساب من الاختلاط وإيجاد مجتمع طاهر نظيف تنتشر فيه الفضائل وتضمحل الرذائل.
- تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من تبادل الحقوق والتعاون المثمر في دائرة المودة والمحبة والاحترام والتقدير.
- تنمية غريزة الأبوة والأمومة وتكاملها في ظلال الطفولة، وتنمية مشاعر العطف والود والحنان، وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها[2].

من خلال هذه النقاط نجد ان الزواج له عدة أهداف منها الحفاظ على النسل والنوع الإنساني، وهو حصانة للإنسان، ودرئ للفتنة واستمرار للحياة البشرية وتقدمها فهو رسالة مقدسة.

3-تعريف الزواج:

لغة: النكاح لغة بمعنى عقد التزويج ويكون أيضا بمعنى وطأ الزوجة، قال أبو علي القالي: فرقت العرب فرقا يعرف به موضع العقد من الوطء، فإن قالوا انكحوا فلانة أو بنت فلان قصدوا وأرادوا بذلك عقد التزويج أما إن قالوا نكح امرأته أو زوجته فالمراد منه هو الجماع والوطء[3].

كذلك يشير إلى" الاقتران والازدواج وشاع استعماله في اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام والاستمرار[4].

اصطلاحا:

من الناحية الانثروبولوجية يعرف الزواج بأنه" ظاهرة اجتماعية معقدة، ويرجع ذلك إلى اختلاف صوره وعناصره ونظمه بدرجة واضحة تصل إلى درجة التناقض، وبالرغم من بساطة التكنولوجيا في المجتمعات البدائية نلاحظ تعقد ظاهرة الزواج بها وينطبق هذا التعريف على كل المجتمعات [5].

رغم ذلك يبقى الزواج من بين الحاجات الأساسية داخل المجتمع لضمان وبقاء استمراره، فلو لم تكن فيه فائدة نفسية واجتماعية وبيولوجية ضرورية لما نصح به الله عز وجل، فبه تكتمل الأنفس ويضع الله بينهما المودة والرحمة. لذا

يبدو جليا للعديد من المجتمعات بأنه معقد في البداية لصعوبة الاختيار وخوفا من عدم الاستمرار مستقبلا، وهذا ما أوضحه التعريف الآتي.

بأنه نظام اجتماعي، مؤسسي وسبب في استقرار الرجل والمرأة نفسيا وعاطفيا، واجتماعيا، فهو يشبع ميول الإنسان في تكوين أسرة، كما أنه يشبع غرائزه الجنسية. ويعتبر حقا لكل إنسان، ويترتب عليه حقوق وواجبات بين أفراد الأسرة[6].

ويضيف "أحمد الشناوي" أثناء حديثه عن الزواج قائلا: بأنه نظام اجتماعي، معروف أساسه علاقة رجل بامرأة علاقة يعترف بها القانون، ويقرها العرف والتقاليد، تتضمن هذه العلاقة حقوقا والتزامات على الزوجين معا [7].

إذن تحصيل حاصل لكي يكتسي الزواج صغبة مقبولة اجتماعيا ودينيا ضرورة مروره بالعقد الشرعي الذي يثبت القبول الجماعي والفردي معا لهذا الزواج، وليكتمل القران وجوب العقد القانوني وفق أصول قانونية تضمن حقوق وواجبات كلا منهما.

واستنادا لما سبق، فالزواج في الفقه الإسلامي يعني" عقد يفيد ملك المتعة قصدا أي يراد به حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع ويجعل لكل منهما حقوقا. وواجبات على الآخر[8].

كما عرفه **برناند باربر** أن الزواج علاقة مستمرة مقبولة اجتماعيا بين رجل وامرأة أو أكثر، وهي تسمح بالعلاقات الجنسية بينهما بغرض الأبوة ويعد الزواج نمطا خاصا من العلاقات المقبولة بمجتمعنا وهي تتم وفق معايير وضوابط معينة ومن الممكن أن تنتهي تحت ظروف خاصة يحددها المجتمع. وأهمية الزواج ليست في إقامة علاقة بين شريكين ولكن أهميته في العلاقات التي تربط بين عائلتيهما[9].

ويمكن أن نعرف الزواج إجرائيا هو ذلك الرابط المقدس والموثق بين الرجل والمرأة والذي يكون بهدف إشباع الرغبة وتأسيس أسرة وفق ما تقتضيه مبادئ الإسلام وثقافة المجتمع.

4-أركان عقد الزواج:

4-1-صيغة عقد الزواج:

الركن الحقيقي للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط، ويتمثل التعبير فيما يجري من عباراته بين المتعاقدين. فما صدر أولا من أحد المتعاقدين للتعبير عن إرادته في إنشاء الصلة الزوجية يسمى ""إيجابا"، ويقال انه أوجب. وما صدر ثانيا من المتعاقد الآخر من العبارات الدالة على الرضا والموافقة يسمى قبولا.

ومثال ذلك: إذا قال الزوج لولي الزوجة: زوجني ابنتك فلانة (ويذكر اسمها بالكامل)، فقال ولي المخطوبة: قبلت، كان ما قال الزوج إيجابا، وكان ما قال ولي الزوجة قبولا[10].

وهذا ما يدل على أهمية هذه النقطة فقد أولاها الشارع الحكيم اعتبارا كبيرا، فأساس العقد هو الرضا والقبول بين الطرفين، وهو أمر باطني يختلج الطرفين حتى تكون القاعدة سليمة ويؤدي إلى بناء أسرة سليمة ومجتمع سليم ومتماسك، ولو ذهبنا إلى النظرة الاجتماعية لطريقة الزواج بالنسبة للمجتمع التقليدي قديما فإن المرأة ليس لها الحق في إبداء رأيها و ولا حتى سؤالها، بل يتم تزويجها ربما وهي مكرهة، وهذه ربما تعود بحكم قيم التنشئة الاجتماعية السائدة آنذاك، ومهما كانت الأسباب إلا أن ولي المرأة لا يحق له أن يكرهها على زواج لا تريده، فهو أمر مخالف للأصول والعقول.

4-2-وجود الولي عن المرأة عند الزواج:

إن ولي المرأة عند الزواج، هو أقرب الناس إليها. كأبيها وجدها وأخيها وعمها...إلخ. ويشترط في الولي عن المرأة في الزواج أن يكون ذكرا مسلما، بالغا، عاقلا، رشيدا... فليس للمرأة عند الشافعية أن تعقد على نفسها. وإذا عقدت على نفسها كان هذا العقد باطلا، وهو مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف...

ففي الحديث الشريف: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا نكاح إلا بولي" رواه أصحاب السنن...** (أي لا صحة للزواج بالنسبة للمرأة إلا بولي، أي بوكيل من الرجال عنه).

وعن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل...)) (رواه الترمذي).**

ويرى الأحناف أن المرأة العاقلة الرشيدة لها الحق في مباشرة عقد الزواج لنفسها بكرا كانت أم ثيبا، ويستحب لها ان تترك عقد زواجها لوليها، صونا لها من التبذل وعما يخدش الحياء[11].

ولو أسقطنا هذا الكلام على واقع مجتمعنا اليوم لوجدنا شرخا تاما في احترام هذا الركن الذي يعد أساسيا لمشروعية الزواج، فكثير من الزيجات اليوم نراها لا تستند إلى نص شرعي، فهناك من تلجأ إلى جارها ليحل محل أبيها، وهذا منذ تعديل المادة الخاصة بتغييب ركن الولي، وبيّن النص القانوني وبين الواقع هناك قصص حدثت وحالات رسخت هذا القانون كتوجه جديد في المجتمع الجزائري، وبالتالي فتح المجال لكثير من الزيجات التي جعلت المجتمع يتخبط في كيفية مسايرة التطور دون الإخلال بالقيم والعادات، وعلى غرار التغير الاجتماعي فان

إحداث هذا النوع من التغيير هو خروج عن عادات وتقاليد المجتمع الجزائري بغض النظر عن الخروج عن الشرع.

4-3-وجوب استئذان المرأة قبل الزواج:

يجب على ولي المرأة أن يأخذ رأيها فيمن يتقدم للزواج بها، وان تكون راضية عن اختيارها لهذا الزوج، لأن الزواج معاشرة دائمة بين الزوج والزوجة، فيجب أن يتم بالتراضي والاختيار لا الإجبار...ولذا منعت الشريعة الإسلامية الإجبار أو الإكراه على الزواج، وقررت أن عقد الزواج يكون غير صحيح إذا تم عن طريق الإكراه او الإجبار، وقد وردت أحاديث نبوية شريفة تأمر باستئذان المرأة قبل الزواج، ونذكر منها:

عن ابن عباس –رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((الثيب أحق بنفسها من وليها. والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها)). رواه مسلم والترمذي.**

بمعنى Hن المرأة التي كانت لها تجربة زواج سابق هي من تملك زمام أمورها وأحق بقراراتها حيث أن الولي لا يعقد إلا بعد أن يستأذنها وأخذ رضاها، كذلك الأمر بالنسبة للبكر لابد من أخذ رأيها واستئذانها.

4-4- الإشهاد على الزواج:

من شروط صحة عقد الزواج أيضا، أن يكون هناك شاهدان يشهدان عليه.. ولا ينعقد حتى يكون الشهود حضورا حالة العقد... وذلك لما لعقد الزواج من أهمية تتعلق بحفظ الأنساب والإعراض، ولما يجب فيه دفع الظنون والشبهات... إذ بالإشهاد يتم الإشهار والوضوح، لاسيما عندما يكون مع الشاهدين عدد من الناس لقلة العدالة في زماننا هذا.. وجمهور الفقهاء على أن عقد الزواج يجب أن يتم بشاهدين من الرجال العدول، ولا تصح فيه شهادة النساء.

4-5-وجوب الصداق المهر للمرأة:

من شروط صحة الزواج، أن يدفع الزوج لزوجته مبلغا من المال كصداق لها..ملكا خالصا لها..ومن حقها أن تتصرف فيه كما تشاء..وهو ما تعطاه المرأة لحلية الاستمتاع بها، وهو واجب بدليل **قوله تعالى:**

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا(4).النساء.

(صدقاتهن: مهورهن)(نحلة:عطية منه تعالى)(هنيئا مريئا:سائغا حميد المغبة).

أي: أعطوا أيها الرجال، النساء اللاتي تريدون الزواج بهن مهورهن عطية عن طيب نفس منكم، لان هذه المهور قد فرضها الله تعالى لهن، فلا يجوز ان يطمع فيها طامع، فإن حدث وتنازلت المرأة عن شيء من هذه المهور عن سماحة وعن رضا وعن طيب خاطر، فخذوا – أيها الرجال- ما تنازلت عنه نساؤكم من مهورهن لكم أخذا حلالا لا شبهة فيه، وانتفعوا به[12]...، لكن هذه النقطة على وجه الخصوص أصبحت مغيبة في وقتنا الحالي، فظاهرة غلاء المهور لاسيما بالنسبة لمجتمعنا أخذت منحنى خطير وبالرغم من حملات التوعية والخطب في المساجد بضرورة تسهيل الزواج على الشباب الذي نجده قد عزف تماما عن فكرة الزواج فأصبح يرى في هذا الأخير مستحيلا نظرا لما يشهده من عراقيل، فالشباب في المجتمعات التي تنتشر فيها ثقافة الفضائيات والإنترنت المليئة بالتبرج والسفور والعري بحكم ما أسموه بالتحضر والعولمة التي هي من مخططات غربية هدفها ضرب تعاليم الإسلام، دون ان ننسى معدلات الانحراف الاجتماعي والتحلل الأخلاقي، فالشباب في حاجة الى إتمام نصف الدين إلا أن المعوقات والعقبات التي تقف في طريق تطبيق هذه السنة أكبر من طاقات وقدرات الشباب، ويأتي في

طليعتها غلاء المهور وعدم القدرة على تأمين كافة متطلبات الزواج، وبالتالي نجد إعراض الشباب عن الزواج الأمر الذي من شانه تزايد نسبة الانحراف والعنوسة.

5-أسباب اللجوء إلى الزواج:

تختلف أسباب الزواج من فرد إلى آخر وذلك باختلاف اعتقادات الفرد وتكوينه، وتنشئته وغيره من المحددات الأخرى بحيث يرى"بومان" ان الناس يتزوجون لعديد من الأسباب مجتمعة او لسبب واحد او أكثر وتتمثل هذه الأسباب فيما يلي:

- الحب.
- الأمان الاقتصادي.
- الرغبة في حياة المنزل.
- الأمان العاطفي.
- تحقيق رغبة الوالدين.
- الهروب من الوحدة.
- الهروب من أوضاع غير مرغوب فيها منزل الأسرة.
- تحقيق مركز اجتماعي معين.
- وجود الصحبة والصداقة.
- المغامرة والفضول لما في الزواج[13].

ثانيا: الزواج والأسرة:

1-مفهوم الأسرة:

لغة: كما ورد في لسان العرب بمعنى: أسرة الرجل بمعنى عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم، والأسرة مشتقة من "الأسر" والأسر يعني القيد[14].

اصطلاحا:

ويعرف" **هربرت سبنسر** "الأسرة بأنها الوحدة البيولوجية والاجتماعية ومن جهة أخرى ووفقا لتعريف"ميردال"، هي عبارة عن جماعة إنسانية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع تتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء من نسلهما أو بالتبني[15].

وهي رابطة اجتماعية بين زوجين وأطفالهما، وقد تكون أكبر من ذلك فتشمل أفراد آخرين شريطة أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مع الزوجين والأطفال[16].

فحسب **أوغست كونت:** "الأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي النقطة التي يبدأ منها التطور"[17].

كما تعرف: " بالرغم من صغر حجم الأسرة فهي أقوى نظم المجتمع، فهي النظام الذي عن طريقه نكتسب إنسانيتنا، كما لا توجد طريقة أخرى لصياغة بني البشر سوى تربيتهم في الأسرة "[18].

2-المفهوم الأسري في الإسلام:

من حيث كانت كلمة الأسرة مشتقة لغويا من الأسر والقيد، وحيث كانت الأسرة من وجهة النظر الإسلامية ليست قيدا أو عبئا، وإنما حتمية نفسية فلقد أطلق الإسلام كلمة الأهل لتدل على الأسرة. والأهل هو المفهوم اللغوي مشتق من الفعل أهل على وزن رضى: بمعنى أنس أي استراح وهدأ واطمأن، وبما أن الراحة النفسية والسكينة أمور لا تتحقق بالتمني ولكن تنال بقدر ما يبذل المرء في سبيلها من أعباء وما يتحمله من أجلها من مسؤوليات.ومن هنا كانت الأهلية أو الصلاحية أو القدرة،

فليس كل رجل قادر على أن يكون زوجا أو رب أسرة، فالزواج يتطلب مؤهلات جسدية ومادية ونفسية وعقلية وخلقية لا يقدر عليها كل إنسان، وهكذا تجد الإسلام قد غير مسار مفهوم الأسرة فجعله مسؤولية على الإنسان يقبل عليها رضا وطواعية باحثا عن الراحة والسكينة والطمأنينة[19].

3-الأسرة والعطاء:

إن الأسرة التي تعني العطاء هي البداية الحقيقية والمصدر الطبيعي لوجود الإنسان السوي فالأسرة هي مركز الحب ومركز الجذب، والحب عاطفة إنسانية ذكرت في كتب الحب وعلوم النفس والاجتماع والأخلاق وأيضا في كتب الفلسفة والقيم لكن قيمة الحب تبرز عريضة واضحة عندما نقابلها بلفظة العطاء أو الأسرة فالعطاء مصدره الحب ومن العطاء والحب تنبت الأسرة عن طريق الزواج، فموضوع الحب والتضحية هما علامتان على الأسرة أو مؤشران لموضوعها أو مشروع تكوينها المعروف (بالزواج الناجح السعيد) فالأسرة الناتجة عن الزواج الناجح هي ما تعطى لمعناها ثراء والية وحياة، وهي مشروع يبدأ بالحب والتضحية لأنه مشروع يتوجه الزواج وهو البداية المطلقة والنهائية للحب وهو بداية تكوين الأسرة التي تشكل الإطار الذي نحيا فيه وجودا وممارسة قولا وفعلا وسلوكا وحياة كاملة[20].

4-حيرة الشباب في اختيار شريك الحياة:

هناك عدة طرق لاختيار الزوجة.. وكل طريقة لها مميزاتها وعيوبها.. وعلى كل فرد أن يختار ما يناسبه من الطرق... والإسلام يرى ضرورة ان يتحرى الإنسان الدقة في اختيار شريك الحياة من أسرة طيبة، ومن أصل طيب تعرف عنه الصفات الحميدة، ولو على الأقل في الأقارب من الدرجة الأولى، ليستطيع بعد ذلك أن يجد من يتعامل معه من الرجال الذين تحترم كلمتهم وأن يكونوا أهل كفء لأبنائه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**))- **رواه البخاري**- (لحسبها: أي لشرف الآباء والأقارب) (تربت يداك: أي التصقت بالتراب ان لم تظفر بذات الدين، وهو كناية عن التنبؤ بالفقر وسوء الحال، ولا يراد به حقيقة الدعاء عليه)..وقد تأخر لفظ الدين في هذا الحديث الشريف لكي يظل عالقا في الأذهان، ويتأكد المستمع للحديث أنه الرابح أن اختار ذات الدين[21].

فالدين هنا عامل ضروري من عوامل الاستقامة والصلاح والنجاح في الزواج وتحقيق السعادة والرضا بين الطرفين، فإذا كانت القاعدة سليمة نتج عنه زواج سليم والذي بدوره يؤدي إلى الاستقرار الأسري، وهذا تفتقر إليه بعض الأسر في مجتمعنا اليوم.

ولا شك ان دعوة الإسلام للزواج هو احترام وتقدير لكل من الرجل والمرأة فلقد عاشت المرأة قرونا طويلة من العبودية والمهانة وفي بعض العصور نظروا لها على أنها حيوان، وكانت الحيوانات كآلات في بعض العصور وعندما منحوها حقوقها وصفوها بالإنسان وخلعوا عنها صفة الحيوان وجعلوها إنسانا مخلوقا لخدمة الرجل[22].

نحن الآن نعيش تحوُّلاً كبيرا نظرا للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبعد أن كانت عملية اختيار شريك الحياة من المهام التي تقوم بها الأم أو النساء بشكل عام، ولا يكاد يكون للشاب أو الشابة المقبلَ على الزواج دورٌ في اختيار أو تقرير من يكون شريكه، وأما الآن فقد أصبحت هذه مهمة يقوم بها الشاب والشابة باجتهادهما دون غنىً عن استشارة أهلهما والاستعانة بهما يرجون بذلك تحقيق أكبر قدرٍ من التوافق في حياتهما المستقبلية23...، حتى المعايير أضحت غريبة بالنسبة لما كان عليه المجتمع قبلا فبفعل التغيرات الحاصلة، فقد سار الشباب وراء هذا

التيار الذي أفرزته العولمة وكثيرا ما نلحظ معارضة من قبل الأسرة على اختيار ابنهم لفتاة دون احترام رغبتهم ويرون في ذلك تمردا على العادات والتقاليد.

5-أثر الأسرة في زيادة أزمة الزواج:

البيت بالنسبة للأبناء خاصة البنات يعني الاستقرار، والأمان، والراحة، ومع الخلافات الزوجية بين الآباء، فان البنت ستقبل أي زوج يتقدم لها لتتخلص من هذا البيت –بيت أبيها – الذي لا تشعر فيه بالأمان أو الاستقرار أو الراحة، ونظرا لأن البنت متعجلة في اتخاذ قرارها بالزواج، وبدون تفكير سوى ان تهرب من هذه المشاكل المحيطة بها، كثيرا ما تقع في مشاكل أكبر..ذلك لأنها رسمت في خيالها صورة للزوج أنه سيخلصها من مشاكلها، ولم تنظر إليه كانسان له طباعه وصفاته الحسنة، وله أيضا طباعه السيئة ككل البشر، ولم تعط لنفسها فرصته لتتعرف على سلوكياته وإمكانية ان تتأقلم معه أم لا.

وهذا الزواج المتسرع، بدون تفكير بالعقل تكون عواقبه الطلاق، وما يتبع ذلك طبعا من الزيادة في أزمة الزواج، وتنعي البنت حظها، فلا هي شعرت بالراحة والاستقرار في منزل أبيها، ولا في منزل زوجها[24].

إن إعمال العقل والتحلي بالحكمة أمور لا بد منها خاصة فيما يتعلق بالزواج فليس للتسرع والعجلة فائدة مقارنة مع النتيجة الكبيرة التي ينجر عنها سوء الاختيار. وعلى النقيض من ذلك فنجد اليوم ارتفاع سن الزواج وانتشار العنوسة بالمجتمع، فهذا الأمر راجع إلى بعد الناس عن كتاب الله وسنة رسوله صلى عليه وسلم خاصة ما تعلق منها بمسألة الزواج وما حدده الإسلام من ضوابط شرعية، فالمبالغة اليوم من شروط زواج وارتفاع المهور وما يبثه الغرب بفعل الحداثة والتطور عبر وسائل الإعلام بأنواعها والصورة التي يرسمها عن الحياة الغربية وكيف يعيشون قد تؤثر على الشباب، دون ان ننسى دور الفضائيات من الأفلام المحرمة وغيرها من الأمور التي تثير الغرائز...

6-نظريات الاختيار الزواجي:

غلب على نظريات الاختيار الزواجي ميزتين إحداهما تتميز بخاصية اجتماعية في تفسير الزواج وكيفية الخيار، والأخرى تهتم بالتأويلات النفسية لموضوع الارتباط. وفيما يلي سيتم شرحهما من خلال مخطط يختصرهم بشكل واضح، ويليه تفسيرات موضحة لكل نظرية:

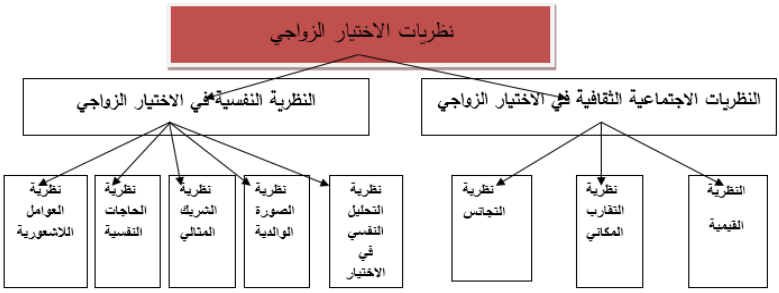

تركز أولى نظريات الاختيار الزواجي الاجتماعي – الثقافي وهي مقاربة التجاوز المكاني والتي تعتبر أن العزلة المكانية تجمع أناسا متشابهين أكثر منهم المختلفين...وهي ما يطلقون عليها الفرصة الإيكولوجية للاختيار. [25]

حيث تكون فرصة أكبر للاحتكاك بأفراد الجنس الآخر، والذي يمكن أن يختار من بينهم شريك حياته[26].

كما تفسر نظرية التجانس أن اختيار الزواج يرتكز على أساس من التشابه والتجانس في الخصائص الاجتماعية والسمات الاجتماعية.

فالتشابه هو مقوم أساسي للاشتراك حتى في القيم الضرورية التي يجب أن تكون متواجدة عند الشريكين وهي ما عالجته النظرية القيمية المفسرة للاختيار الزواجي من منظور المقاربة الاجتماعية.

أما الجانب النفسي المفسر للنكاح ويعرف بالنظرية النفسية أو بالحاجات التكميلية وهذا من خلال المقاربات التي تندرج ضمنها، أولها تفسير **فرويد**

للشخص الذي يود الارتباط يختار من بين الأفراد الذين يتميزون بنوع من الكمال. وهو شيء نسبي مقارنة بالواقع المعاش. في حين العديد من يبحث عن صورة والده أو والدته في شريك الحياة فسرته نظرية الوالدية، لكن عند الاختيار الزواجي يجب أن يضع كل من الشريكين مميزات مثالية صعبة أن نجدها في وقتنا الحالي وهذا ما وضحته النظرية المثالية، فالحاجات الشخصية التي يحتاجها الفرد في الزواج ليؤسس أسرة هي التي تدفعه للخيار المناسب وفق الأشخاص المناسبين فمن لا يحتوي على خاصية الأمن، الاعتراف، الاحتواء، التقدير...لا يكون ضمن خيارات الاختيار ويبدو ذلك جليا من خلال ما شخصته نظرية الحاجات الشخصية للاختيار في حين نستخلص من النظرية اللاشعورية أن معظم المشاكل التي تحدث بين الشريكين تكون جراء المخزون اللاشعوري والشعوري بين الزوجين. بشكل مختصر هذه هي أهم مقاربات الموضحة للزواج وخياراته مع أنه نجد فيها من كان ضمن الخيارات التقليدية والأخرى ضمن الخيارات الحديثة. ولكن يبقى الزواج عبارة على قناعات.

7-الفرق بين الزواج قديما وحديثا:

تغيرت فكرة الزواج ومفهومه في العديد من المجتمعات وخاصة العربية منها، بحيث ابتعد الأفراد عن المفهوم الحقيقي الذي يجسده الزواج في وقتنا الحالي أو الماضي على حد سواء، فلم يعد الزواج عبارة عن روحين منسجمين ذهنياً وروحياً، لم يعد اتفاقاً مشتركاً بين اثنين بقناعة تامة ورغبة بأن يقضيا بقية حياتهما معاً، بل تغير مفهوم الزواج ليصبح وسيلة لتقليد ثقافات وافدة اخترقت المضامين الاجتماعية في الصميم. والجدول الآتي من إعداد **الدكتورة الخنساء تومي** توضح الفرق بين الزواج وحديثا من عدة جوانب مادية ومعنوية.

الزواج قديما	الزواج حديثا
• الأم هي التي تبادر بالخطبة لابنها. • عادات وتقاليد تطبق في الأفراح برضى الطرفين وبكل بساطة. • الزواج هدفه الأسرة، الرضا وقوامه المودة و الرحمة. • زواج أكدت على نجاحه العديد من الدراسات وإن لم نقل أكثرها. • تمت هذه الزيجات القديمة في المنازل وشرفاتها الواسعة وسع القلوب والرحمة التي كانت متواجدة وبشكل جلي. • قديما الشروط في متناول الجميع منذ الخطبة حتى إتمام مراسم الفرح. • من يملك أو لا يملك المال يكسب السعادة في كلا الحالتين ويستمر زواجه. • الوجبات في الأعراس قديما كانت قديما كانت تقليدية تجمع ما بين الأفراد بروح	• الابن يختار بنفسه. • عادات جد متطورة اكتست مجتمعنا متأثرين بكل ما تقدمه وسائل الإعلام من تفاخر بالمظاهر. • الزواج هدفه الشكليات وعقد المقارنات بين الزيجات الأخرى والتفاخر بالمهور. • زواج نسبة نجاحه متذبذبة لأن الجانب المادي طغى على صبغته الأساسية. • تتم في الفنادق والمطاعم الفاخرة منذ أول ليلة يجمع فيها الله عز وجل الزوجين. • الآن الشرط الأساسي هو السكن الفردي وطغيان الفردانية والنظرة التسلطية من أول يوم في الخطبة. • من لا يملك المال لا يحق له التفكير لا في الزواج ولا في السعادة بالمختصر زواج مادي بحيث أصبحت الفتاة تنتقي الزوج الثري الذي يلبي كل الرغبات.

الحب والاجتماع الإنساني. • الأفراد يجتمعوا على حكايات وحكم تزيد من الأواصر الاجتماعية. • التشهير بالزواج بالدف وكل الوسائل التقليدية كالجماعة و مؤدوبات الطعام على شرف العائلتين. • السكن لم يكن شرطاً مطروحاً ويمكن للعروسين السكن مع الأهل. • الزفاف كان يبدأ مبكرا من نهار اليوم ويستمر لأيام. • العروس ترافقها " الماشطة"تتكفل بالعروس من جميع نواحي تحضيرات الزفاف.	أصبح التفاخر بقاعات الأعراس (5نجوم) والأكلات المتطورة والمتنوعة التي تكلف العريس ضريبة كبرى ويبقى نجاح الزواج نسبي بعد هذه التكاليف الضرورية والضخمة وهي تكلف ميزانية كبرى. • الأفراد يتفرقون على مشاكل جمة تدفعهم إلى إضرام نار الفتن وأساسها طغيان الجانب المادي وارتفاع نسب التفاخر الخاوية خواء عقولهم من فكرة الزواج بناء ومودة لا ماديات مدمرة. • وسائل اعلام متفرقة كالتلفاز، والهاتف التشهير بالزواج عن طريق فرق موسيقية وصخب، الفيسبوك • السكن أصبح شرطا قبل عقد القران، • اليوم أصبح مساءا في قاعات مخصصة للأفراح ويتفرق بعدها المدعوين. • تعددت اختيارات العروس بين مصفّف الشعر وخبير التجميل ومصمّم الأزياء ومنظم الحفل....الخ

8-أسباب تغيير منظومة الزواج:

ليخرج مفهوم الزواج بشكله الحديث إلا لم تتوفر مجموعة من المسببات والدوافع التي أدت لتغييره بشكل الحالي ومن بين هذه الأسباب هي:

1/ تراجع الزواج الداخلي:

مما لا شك فيه، كان الزواج الداخلي أحد الوسائل التي يتم المحافظة من خلاله على أواصر القرابة بين أفراد الأسرة الواحدة، العشيرة أو القبيلة. فالعلاقات الزواجية لا تعقد إلا لمن بينهم صلة عائلية أو قرابية ولا يسمح بالزواج الخارجي تحت أي ظرف كان. تعرفه سامية الساعاتي في كتابها الموسوم بالاختيار الزواجي والتغير الاجتماعي هو الإواء أو الأندوجامية هي تلك القاعدة الاجتماعية التي تمنع أفراد جماعة معينة من الزواج بمن لا ينتمون إلى تلك الجماعة أو لا يكونون أعضاء فيها، أي أنها تحتم على الفرد الزواج من داخل الجماعة التي ينتسبون إليها [27]..، لكن الحياة الزوجية لا تخلو من المشاكل تماما مما يجعلها تؤثر على صلة القرابة في حالات متقدمة جدا من هذه التعقيدات العائلية فتخسر العائلتين بعضهما البعض بعد محاولات للاحتواء هذه المشاكل. ضف إلى ذلك يترتب عن هذا النمط من الزواج أمراض وراثية تنتقل بين الزوجين لمن ينتمون للأسرة الواحدة، فتزايد مخاوف الجماعة الواحدة من هذه التعقيدات جعل الزواج الداخلي يتراجع مقارنة بالسنوات الفارطة فأصبح الشاب يفكر بالزواج الخارجي كحل منطقي لجل التعقيدات السابقة.

2/ طغيان النظرة المادية للزواج:

أضحى الجانب المادي من بين الأسباب التي سعت لتغيير الزواج والهدف منه، فالعديد من الشبان أو الشابات تدفعهم فكرة الارتباط بشريك الحياة يكون يملك

موارد بشرية تسمح له بتأمين المستقبل بكل ما يحتاجونه متناسين الجوانب الأخرى الأساسية كالتكامل الروحي والنفسي فيما بينهم وطرق الحوار وأساليب تربية الأبناء إن خططوا لوجودهم أصلا... نعلم جيدا الأهداف الحقيقية من الزواج وهي: الحفاظ على الرابط الروحي بين الزوجين، الحفاظ على المجتمع من الآفات الاجتماعية والأخلاقية ومختلف الأمراض الخطيرة التي تنتج جراء العلاقات الغير شرعية، وكذا هدف لا يقل قيمة عن باقي الأهداف وهو الحفاظ على التناسل والأنساب بين أفراد المجتمع الواحد بغض النظر إذا كان داخلي أو خارجي.

لكن وفق المعطيات الجديدة التي فرضها التغير، أضحت علاقة الزواج علاقة اقتصادية استهلاكية مرتبطة بالتمويل والمنفعة والمصلحة، لا بالانتماء إلى المنظومة القيمية للمجتمع الإنساني، وأصبحت القيم الفردية المنظمة للحياة الأسرية تحكم التفاعل الأسري ولم تعد الأسرة تقوم بوظائفها الفكرية والنفسية من صحة نفسية وأمن اجتماعي وهوية فكرية وثقافية ولا بالوظائف الاجتماعية من حضانة ورعاية وتربية... ولا الوظائف البيولوجية من إشباع غريزي وتناسل طبيعي ولا الوظائف الاقتصادية من تدبير المأكل والمسكن والملبس [28].

3/ خروج المرأة للعمل:

استكمالا لما سبق، يعد خروج المرأة للعمل أيضا من بين الدوافع القوية للتأثير على الزواج وقيمته الروحية النفسية والاجتماعية، فعملها ليس عاملا للتغير بقدر ما يدفع الشاب بأن يفكر في امرأة عاملة وموظفة تعينه على المستقبل وبناءه، لكنها فكرة غير سديدة لأنه ارتباطه ليس للزواج والاستقرار وإنما الهدف مادي وهو ما تطرقنا له سابقا، فطغيان النظرة المادية وخروج المرأة للعمل غير العديد من المفاهيم والأدوار الوظيفية للأسرة والعلاقات الأسرية خاصة بين الزوجين.

4/ شبكات التواصل الاجتماعي (الفايسبوك):

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي في الوقت الراهن من بين الميكانزمات الهامة في إحداث تغيرات جمة على مستوى الحياة الاجتماعية بمختلف أنشطتها ومؤسساتها ومن بينها الزواج. فنحن لا نغفل مساهمات هذه الشبكات في التثقيف والترفيه والتعارف، لكن في المقابل أضحت هي الوسيلة الأساسية في التعارف فيما بين الشباب والشابات ومن ثمة الزواج. لكن ما أسفرت عليه هذه الطرق الحديثة للاختيار شريك الحياة باصطدام واقعي بعدما كان الاختيار افتراضي يسعى كلا الطرفين بتقديم أحسن ما لديهم، وتبقى الحياة الواقعية تكشف كل الخبايا التي تؤدي إلى الانفصال في معظم الأحيان. وهذا ما يجسد أحد الفروقات بين الزيجات القديمة والزيجات الحديثة، فالكلاسيكي يكون الخيار من الوالدين لابنهم أو ابنتهم، حتى وإن وقعت مشاكل عائلية يتم احتوائها بطريقة تحترم القبلية وصلة القرابة خاصة لما يكونوا الزوجين من نفس المنطقة. لكن الزيجة الفايسبوكية عند وقوع المشاكل يسارع كلا الطرفين لحل المشاكل بطرق قانونية وهي أبغض الحلال عند الله الطلاق.

خاتمة:

من خلال بحثنا هذا وتحليلنا لواقع الزواج المعاش لاسيما في المجتمع الجزائري يمكن القول أن الزواج ميثاق يجمع بين شخصين وفق ضوابط محددة شرعها الدين، لكن تحقيق الاستقرار والسعادة أمر نسبي ويختلف من زوجين إلى آخرين، فقد تجد أزواج معدومي الحال ولكنهم في سعادة تامة بينما على النقيض من ذلك تجد أزواج آخرين في قمة الثراء والراحة المادية، إلا إنهم يفتقدون إلى السعادة الحقيقية، إذن الأمر هنا له علاقة بمدى قدرة الطرفين على التحمل والصبر، فمسألة الاختيار في الزواج كما ذكرناها سابقا تختلف من أسرة لأخرى،

فالزواج في القديم كان فيه كثير من البساطة ولكنه تميز بالاستمرارية وكلل بالنجاح، على عكس الزواج اليوم الذي طغت عليه الماديات والمظاهر، بفعل العولمة والتطور وكل ذلك على حساب مبادئ وتعاليم ديننا الحنيف، ونتيجة ذلك ما نراه اليوم من كثرة العنوسة ونفور تام للشباب من مسألة الزواج.

التوصيات:

لا يمكن أن ننكر أن مجتمعنا يواجه الكثير من المشكلات الاجتماعية وتبقى مسألة تأخر الزواج بالنسبة للفتاة من مشاكل المجتمع وبالتالي انتشار ظاهرة العنوسة، فيبقى الجميع يتساءل عن سببها في محاولة لإيجاد الحلول، لكننا نقول لهؤلاء الحل سهل فلا داعي للبكاء على اللبن المسكوب فلا بد من إتباع هذه التوصيات:

- تيسير الزواج وعدم المغالات في الشروط لاسيما ما تعلق بالمهر ولابد من تسقيفه، أن يبتعدوا عن مسألة التبذير والإسراف في المأكولات والحفلات بحجة التطور والعولمة في ليست من ديننا الحنيف والإسلام منها براء.
- تكثيف دور كل الأفراد الفاعلين في المجتمع لا سيما الأئمة في المساجد والتركيز على مسألة الاختيار في الزواج لا سيما ما تعلق بترغيب الشباب في الزواج.
- إعداد الندوات والملتقيات في الجامعات والمؤسسات الثقافية بتوضيح قيمة الزواج الفعلية.
- دعوة وسائل الإعلام للتركيز بكافة أطيافها على الزواج كونه رابط مقدس وهو من تعاليم الدين الحنيف والتركيز على فئة الشباب.
- دعوة الجمعيات الخيرية للمساهمة في إقامة الزفاف الجماعي للشباب الذي لا يملك تكاليف الزواج وبمساعدة أصحاب المال ورجال الأعمال.

- احترام أركان الزواج لا سيما ما تعلق بركن الولي، ومحاربة ظاهرة الزواج العرفي التي ساهمت في تفشي مشاكل اجتماعية تمس بالأخلاق والقيم والعادات، وتفكك المجتمع وانتشار أطفال مجهولي النسب وأطفال الشوارع.

قائمة المصادر والمراجع:

1-سناء أحمد أمين، **الزواج بين النجاح والأزمة والفشل،** دار الكتاب الحديث، 2008، ص.19

2- نفس المرجع، ص.20

3- (**شعدو عبد الكريم، العوامل المفسرة لتطور ظاهرة الزواجية في الجزائر حالة سيدي بلعباس،** مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير تخصص ديمغرافيا الاقتصادية والاجتماعية جامعة السانيا، وهران الجزا ئر، 2014 ص 15

4-محمد محدة، "**الخطبة والزواج**"، ج1 ، مطبعة شهاب، باتنة، ط2 ، 1994، ص.85

5- عاطف وصفي، "**الأنثروبولوجيا الثقافية**"، دار النهضة العربية، بيروت، 1964، ص.210

6-موسى بودهان، **قانون الأسرة الجزائري،** دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص.05

7-محمد صفوح الأخرس، **تركيبة العائلة العربية ووظائفها،** دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، ص.174

8- الحسيني سليمان جاد، "**كتاب الأمة وثيقة مؤتمر السكان والتنمية- رؤية شرعية**، العدد53، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1996، ص.35

9- **محمد مهدي القصاص (2008) علم الإجتماع العائلي نقلا عن:.** ww.mahdyelkassas.name.eg/books/family.pd

10 - سناء أحمد أمين، مرجع سابق، ص31

11-نفس المرجع، ص.32

12-سناء أحمد أمين، مرجع سابق، ص ص 34.33

13-حسين عبد الحميد رشوان، **الأسرة والمجتمع،** مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، ص.11

14-مصطفى الخشاب: **علم الاجتماع العائلي،** مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985، ص 43.

15- عبد القادر القصير، **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، ط1 ، بيروت، دار النهضة العربية، 1999، ص.35
16-السعيد عواشرية، **الأسرة الجزائرية إلى أين**، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 19 جامعة قسنطينة الجزائر، 2003، ص.113
17-زيدان عبد الباقي: الأسرة **والطفولة**، دار الشباب للطباعة، القاهرة، 1979، ص 2.
18- سناء الخولي: **الزواج والعلاقات الأسرية**، دار المعرفة الجامعية، د ط، مصر، 1995، ص 53.

19-بن زيان مليكة، **عمل الزوجة وانعكاساته على العلاقات الأسرية**، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003-2004، ص .26
20-راوية عبد المنعم عباس، **الزواج-الأزمة والحل**-دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2013، ص67
21-سناء أحمد أمين، مرجع سابق، ص .101
22-راوية عبد المنعم عباس، مرجع سابق، ص .41
23-الحسين بن حسن السيد، **اختيار شريك الحياة وأثرها في تحقيق التوافق الزواجي**، جمعية المودة للتنمية الأسرية، ط1، السعودية، 2015، ص.16
24-سناء أحمد أمين، مرجع سابق، ص 123.
25-بويعلى وسيلة، زواج الأقارب في المجتمع الحضري وانعكاساته على الأسرة دراسة ميدانية بولاية بسكرة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع حضري، تحت إشراف الدكتور نور الدين زمام، جامعة باتنة، الجزائر، 2004-2005، ص 53
26-سناء الخولي، الأسرة والزواج في عالم متغير، دط، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1989 ص 441
27-نادية بن فليس، تعدد الزوجات في ظل التحولات الإقتصادية، الإجتماعية والثقافية دراسة ميدانية على عينة من مدينة باتنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع عائلي جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2004-2005 ص 80.
28-سامية الساعاتي، الإختيار الزواجي والتغير الإجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص.60
29-الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة مؤتمر علمي دولي، بعمان، الأردن 30/28 جمادى الأولى 1434 هـ والموافق ل9/11أفريل 2013ص01 نقلا عن: ju.edu.jo/SiteCollectionDocument